مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 11 عدد: 2 السنة: 2022
ص: 32 - 51 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

أضرب الفواصل في القرآن الكريم

Types of AL-Fasila in the Quran

د. محمّد بولخطوط / Dr. Mohammed Boulekhtout *

جامعة محمّد الصدّيق بن يحيى- جيجل (الجزائر)

University mohammed seddik ben yahia- jijel (Algeria)

mohammed.boulekhtout@univ-jijel.dz

تاريخ الإرسال: 2022 /02/24	تاريخ القبول: 2022/03/23	تاريخ النشر: 2022/06/02

ملخص البحث

تمثّل الفاصلة القرآنية وجها من أوجه الإعجاز في أسلوب القرآن الكريم، ومظهرا من مظاهر إيقاعه، فقد عرفت فيه أشكالا متعدّدة لتعدّد معايير تحديدها؛ فمنها ما ارتبط بحجم الآية أو بمقدار الفاصلة من الآية، ومنها ما كان له علاقة بآخر حرف من آخر كلمة في الآية، في حين ظهرت أنواع استندت في تشكّلها على إيقاعية أواخر كلمات الآية، وأخرى على طول القرائن داخل الآيات، كلّ هذا التنوّع لم يكن هكذا عبثا، بل خدمةً لمعاني القرآن الكريم.

الكلمات المفتاح: فاصلة قرآنية، قافية، سجع، إيقاع، أضرب الفواصل.

Abstract :

The Quranic Fasila is a facet of the miraculous style of the Quran and a manifestation of its rhythm. There are several types of Al-Fasila based on various factors, some of which are associated with the size of the verse or with the amount of Al-Fasila in it, while others are based on the rhyming sounds of the last words in the verse or they rely on the length of the kara'in (the clues) in the verse. It is worth mentioning that all this diversity was not in vain but in service of the meanings of the Holy Quran.

Keywords: Quranic Fasila, rhyme, lead, rhythm, Al-Fasila types.

* د. محمّد بولخطوط: mohammed.boulekhtout@univ-jijel.dz

أوّلا– المقدّمة:

القرآن الكريم كتاب الله العظيم، أنزله بلسان عربي مبين، استطاع به أن يُبهر العقول ويستدعي التفكير والتدبّر لما فيه من إعجاز لغوي وبياني؛ إذ يملك الكتاب من الخصوصيات ما تجعله يتفرّد عن غيره من الكلام في السلاسة بين أصواته، واتّساق تراكيبه، وتناسب سوره، وجمالية نظمه، وروعة إحكامه، هذا الإعجاز لم يقتصر على المضمون وحسب، بل تجاوزه إلى الأسلوب أيضا، ولعلّ من أساليب إعجازه: فواصله؛ إذ كان التناسب بين الآية القرآنية وفاصلتها من أعظم أوجه الإعجاز البياني، بل ومظهرا من مظاهر الإيقاع الموسيقي فيه، فقد ذكر كثير من العلماء الذين اشتغلوا في بحوثهم على الإعجاز القرآني، أنّ الفاصلة القرآنية لها علاقة عضوية بموضوع السورة الكريمة ومعناها الإجمالي العام، بحيث لا يمكن أن يسدّ غيرها مسدّها. وممّا لاشكّ فيه أنّ تنوّع فواصل القرآن من شأنه أن يخدم موضوعاته المتعدّدة، هذا التنوّع الذي لم يأت فيه هكذا اعتباطا، وإنّما كان لغاية كبرى هي: خدمة معاني القرآن الكريم ودلالاته.

نحاول في هذه الورقة البحثية التعرّض لمفهوم الفاصلة القرآنية وإشكالية المصطلح، مبرزين بعد ذلك أبرز الأضرب وأشهر الأنواع التي عرفتها فواصل القرآن الكريم، ومدى تناسبها مع الجو العام للآية أو السورة الكريمة.

فما المقصود بالفاصلة القرآنية؟ وفيم تتمثّل أضربها في القرآن الكريم؟ وما مدى علاقة تنوّعها وإيقاعها بمعاني السور؟

ثانيا– مفهوم الفاصلة وإشكالية المصطلح:

تذهب جلّ المعاجم اللغوية إن لم نقل كلّها في تعريفها للفاصلة إلى المعنى ذاته، إذ يحيل معناها فيها إلى التفريق والفصل بين شيئين أو أكثر، وجعل كلّ واحد منهما مستقلا عن الآخر، فقد ورد في "معجم لسان العرب" في معرض تفسيره لمادّة "فَصَلَ": «...الفصل: الحاجز بين الشيئين، فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل، وفصلتُ الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع (...)، والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النّظام، وقد فصل النّظم وعقد مفصل؛ أي جعل بين كلّ لؤلؤتين خرزة، والفصل: القضاء بين الحقّ والباطل».[1]

هذا، ويقترب المعنى المعجمي لمادّة "فَصَلَ" من المعنى الاصطلاحي، ما دام أنّ الفاصلة في القرآن هي الحاجز الذي يفصل آخر كلمة في الآية السابقة عن أوّل كلمة في الآية اللاحقة، وهذا هو سرّ تسميتها بهذا الاسم، نستشفّ ذلك من خلال قول الإمام "الرّماني" (ت: 384هـ): «الفواصل حروف

متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة والسجع عي»[2]، وقول الإمام "الزركشي" (ت: 794هـ): «الفاصلة هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع»[3]، ومن المحدثين قول الباحث "منّاع القطّان": «ونعني بالفاصلة الكلام المنفصل ممّا بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، سميّت كذلك لأنّ الكلام ينفصل عندها».[4]

وعليه فإنّ المتأمّل في التعريفات السابقة للفاصلة، وغيرها ممّا هو مبثوث هنا وهناك في ثنايا المؤلّفات القديمة والحديثة، يجدها تتّفق في عمومها في كون الفاصلة آخر لفظ تختتم به الآية في السورة الواحدة، الأمر الذي من شأنه أن يساهم في تحسين المعاني وتوضيح الدلالات، فضلا عن إتاحة فسحة يستغلّها القارئ لأخذ النّفس والاستراحة من الكلام.

غير أنّ ما هو ملاحظ من خلال تعريف "الزركشي" للفاصلة، وغيره ممّن اقتفوا أثره، أنّه قد قابل مصطلح الفاصلة بمصطلحات أخرى لا تليق بالخطاب القرآني، على غرار مصطلحي: القافية والسجع، هذه المسألة استنكرها عديد من العلماء والدارسين القدامى والمحدثين، فالفواصل كما أجمع جمهور العلماء لا يصلح أن نطلق عليها تسمية القوافي، لأنّ الله جلّ في علاه لمّا سلب اسم الشعر عن القرآن، أوجب في المقابل سلب كلّ ما تعلّق به، والقافية جزء لا يتجزّأ منه. قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ**﴾ [سورة الحاقّة، الآية: 41]. و«كما يُمتنع استعمال القافية فيه، يُمتنع استعمال الفاصلة في الشعر، إذ إنّها ـ الفاصلة ـ صفة لكتاب الله عزّ وجلّ، لا تتعدّاه»[5]، ثمّ إنّ «القوافي لا ترتقي إلى طبقة الفواصل؛ لأنّ الفواصل في الطبقة العليا في البلاغة».[6]

وقد ارتبط مصطلح "القافية" بالشعر دون غيره من الكلام، لكون الشاعر يقفوها؛ أي يُخضع كلّ أبياته إلى لازمة يختم بها ذيل بيته، ويَتَّبِعُ هذه اللازمة من أوّل بيت في القصيدة إلى آخر بيت لا يخرج ولا يحيد عنها، وإلاّ فقد الشعر أهمّ خصيصة ينبني عليها وهي الوزن، والحقيقة أنّ القافية هي في «الأصل فاصلة؛ لأنّها تفصل آخر الكلام، فالقافية أخصّ في الاصطلاح، فكلّ قافية فاصلة، وليس كلّ فاصلة قافية».[7]

هذا فيما يخصّ الإشكالية القائمة بين الفاصلة والقافية، أمّا فيما يتعلّق بإشكالية الفاصلة مع السجع الذي يقول عنه "ابن الأثير" (ت: 637هـ) بأنّه: «تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد»[8]، فما يقال عن القافية ينسحب الضرورة عن السجع لارتباط هذا الأخير بالكلام البشري المنثور، وممّا لا شكّ فيه أنّه لا مجال للمقارنة أصلا بين كلام الخالق وبين كلام المخلوق، لذا كان واجبا وضروريا

جدّا سلب كلّ ما يتعلّق بكلام البشر عن القرآن الكريم، فالعرب عرفت الفصاحة والشعر والخطب، كما عرفت السّحر وسجع الكهّان، لكنّها حين سمعت نصوصا من القرآن بصوت النبيّ محمّد صلىّ الله عليه وسلّم انجذبت إليها وذهلت بها، بل حارت أن تحكم عليها، فما كان يقرؤه الرسول وتسمعه ليس شعرا، لكن فيه إيقاع الشعر وما يشبه القوافي، وفيه من الجاذبية ما يدعو للقول بكونه سحرا، ثمّ إنّ فواصله تشبه سجع الكهّان، لكنّها ليست هي ذاتها، لانتفاء صفة الغموض عنها، لذا كان المشركون من قريش وهم أهل الفصاحة والخطابة يفرّقون النّاس عنه ويقنعونهم لينفضّوا من حوله، بسبب عجزهم عن تصنيفه.

وخلاصة القول: إنّه لا يمكن أن نسمّي الفاصلة سجعا ولا العكس بصحيح، **أوّلا** لأنّ بين الفاصلة والسجعة فارق بيّن واضح؛ إذ «الفاصلة تكون مقاطع الكلام فيها متقاربة في الحروف كالنون والميم ﴿**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)**﴾، أمّا السجع فتكون مقاطع الكلام فيه متّحدة في الحروف»[9]، إذن فالفاصلة قد تكون متماثلة كما قد تكون متقاربة، على عكس السجعة التي يُشترط أن تكون مبنية على التماثل لا غير، وهذا ما أشار إليه "ابن الأثير" في التعريف السابق ذكره، ممّا يعني أنّ الفواصل أعمّ من السجع، وفي هذا الإطار يقول "ابن سنان الخفاجي" (ت: 466هـ) موضّحا علاقة الفاصلة القرآنية بالسجعة: «الفواصل على ضربين، ضرب يكون سجعا، وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضرب لا يكون سجعا، وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل».[10]

وثانيا لأنّ المقصد من الفاصلة غير المقصد من السجع. يسوق "الرماني" كلاما يفنّد به صلاحية إطلاق مصطلح السجعة على الفاصلة القرآنية، فيقول: «...السجع تتبعه المعاني فهو الذي يُقصَد في نفسه، ثمّ يحمل المعنى عليه، والفواصل تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها...»[11]، ولعلّ هذا ما دفعه للإقرار بأنّ "الفواصل بلاغة والسجع عيب"، وهاهو "أبو بكر الباقلاني" (ت: 403هـ) يصرّ هو الآخر على نفي السجع من القرآن قائلا: «ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز (...)، والذي يقدّرونه أنّه سجع فهو وهم؛ لأنّه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعا (...)، لأنّ السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدّي السجع...».[12]

ثالثا– إيقاعية الفواصل القرآنية:

ارتبط لفظ الإيقاع أوّل ما عُرف بفنّ الموسيقى، بعدها استُعِير اللفظ ليصبح متداولا في مجال الفنون التشكيلية، ليتمّ بعد ذلك تعميم المصطلح في ميادين الحياة عموما، والحقيقة أنّ الإيقاع ظاهرة موجودة في حياة الإنسان كلّها، بل في طبيعة الإنسان نفسه؛ فبين ضربات القلب ووحدات النّفس إيقاع وانتظام، حتّى إنّ الإيقاع في الكون واضح جليّ؛ فبين تتابع الليل والنّهار وتعاقب الفصول الأربعة إيقاع، وبين تتالي السنون والشهور والأيام والساعات إيقاع، ممّا يعني أنّ مجالات الإيقاع واسعة وممتدّة، كائنة في كلّ شيء.

إذن، فالإيقاع ظاهرة فنّيّة لا يقوم فنّ ولا أدب دونها، بل لا يمكن لشيء أن يحدث في هذا الكون دون أن يتخلّله إيقاع يتواءم وطبيعته، ويتناسب مع شكله وهيئته، ونظرا لاتّساع مفهوم الإيقاع وتشعّب مجالاته، صار من الصعوبة بمكان أن نعثر على تعريف دقيق واضح للمصطلح، يحيط بجوهره ويقف عند حدود ملامحه، لا لشيء آخر إلاّ لكونه مصطلحا عاما تشمل صوره معظم جوانب الحياة إن لم نقل كلّها. ومع ذلك نحاول هاهنا أن نتجنّب ذلك الكم الهائل من المفاهيم التي أُعطيت للمصطلح، مقتصرين في هذه الورقة البحثية على تعريف "أحمد البابي" له، والذي يقول فيه معرّفا أياه: «الإيقاع ظاهرة عامة تقوم أساسا على الانتظام والاطّراد لوحدات البروز اللسانية على مسافات متقايسة، تقايسا متساويا أو متقاربا لإحداث الانسجام، وعلى مسافات غير متقايسة أحيانا لتفادي الرتابة وتحقيق التنويع،... والواقع أنّ الإيقاع يتحقّق من خلال آلية التكرار التي تتوالى فتشبع التوقّع عند المستمع وتستمرّ، ولكن حتى لا يتحوّل الإشباع إلى رتابة مملّة، لابدّ من تدخّل آلية جديدة على نسب متقايسة هي آلية التغيير، ولا يعتبر توالي القانونين خرقا للإيقاع، بل هو في حدّ ذاته شكل إيقاعي».[13]

يتبّن من خلال هذا التعريف أنّ الإيقاع يقوم على العناصر التالية:

– **سلسلة من النغمات ومقاطع الأصوات**: إذ يمثّل المنحنى اللحني الإيقاعي للتركيب ذلك التتابع الأفقي لنغماته.

– **النظام في النغمات**: ولا يتأتّى ذلك إلاّ وفق مسافات متقايسة في الزمن.

– **الزمن**: لا يمكن للإيقاع أن يكون خارج الزمن، بل لا يمكن له أن يكون بدونه، إذ أنّ الإيقاع يتمّ من خلال مسافات زمنية متساوية، ينتج عنها انتظام في الوحدات النغمية واتّساقها (الإيقاع الرتيب)، كما يمكن في المقابل أن يحدث دون أن يكون هناك تقايسا في المسافات الزمنية، كسرا للنظام واجتنابا للرتابة أحيانا (الإيقاع غير الرتيب).

– آلية التكرار: لا يمكن قيام الإيقاع دون هذه الآلية، فالتكرار هو المسؤول الأوّل عن حدوثه، ولولاه لما نشأ الإيقاع، لهذا عدّ الباحثون التكرار من أبرز مظاهر التناسق والتلاؤم والانتظام بين الوحدات الصوتية، وهذا الانتظام هو الذي يلفت انتباه المتلقّي، ويجعله يدرك بأنّ المقطع أو مجموع المقاطع المتكرّرة قد سبق وأن مرّت عليه أو سمعها من قبل، الأمر الذي من شأنه أن يُحدث سبكا وترابطا صوتيا.

إنّ الإيقاع مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني، ثمّ إنّ تشاكل الفواصل وتقاربها إنّما يمثّل وجها من أوجه هذا الإيقاع، فلمّا كان للإيقاع الدور الفعّال في تجلية معاني القرآن من خلال التوقيع على الألفاظ، وما يترتّب عن ذلك من موسيقى لها الأثر البالغ في استمالة النّفس، ودفعها لاستقبال وتقبّل أغراض القرآن، لما يمتاز به هذا الأخير من أنماط إيقاعية مختلفة، تتماشى أساسا والمعاني السياقية لكلّ آية أو سورة، حسب ما يقتضيه الغرض المقصود من الكلام، كان للفواصل القرآنية في المقابل مزيّة في إعطاء آي القرآن الكريم جرسا موسيقيا له أثره الخاصّ في النّفس والوجدان؛ إذ أنّ المتأمّل في سور القرآن الكريم، المتدبّر لمعانيه والمتمعّن في أسراره قارئا كان أو مستمعا، يُدرك مدى علاقة الإيقاعية الملازمة لفواصل القرآن بالجوّ الدلالي العام للسورة الكريمة، تبعا لما تستدعيه الأحوال النفسية للمخاطبين ومواقفهم، واختلاف المناسبات والموضوعات، فما يناسب أجواء الوعد والوعيد من إيقاعات وأجراس لا يتواءم والإيقاع الذي يتماشى مع الوعظ والإرشاد مثلا، وقس على ذلك مع باقي أغراض القرآن، كما أنّ إيقاع الفواصل القرآنية في الآيات التي فيها ذكر لنعيم الجنّة وأهلها، يختلف تمام الخلاف عن إيقاع الآيات التي يأتي فيها ذكر عذاب النّار وأهلها، وقس على ذلك مع باقي موضوعات القرآن، وبهذا فالفاصلة جزء لا يتجزّأ من الآية القرآنية، بل هي عامل رئيسي من عوامل الإيقاع الموسيقي عموما، والإيقاع القرآني على وجه الخصوص، تكمن وظيفتها في تتميم معنى الآية واستكمال موضوعاتها، مع منحها إيقاعا موسيقيا عذبا يتناسب والسياق الذي قيلت فيه، يبعث النّفس على الانبهار والانجذاب، بما تضفيه من سحر بياني فتّان، وهذه المسألة بالذات هي مظهرا من مظاهر الإعجاز القرآني. يقول "مصطفى صادق الرافعي" في هذا الصدد، موضّحا الأثر العجيب للفاصلة القرآنية: «وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلاّ صور تامّة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متّفقة مع آياتها في قرار الصّوت اتّفاقا عجيبا، يلائم تنوّع الصوت والوجه الذي يساق عليه، بما ليس وراءه في العجب مذهب».[14]

إنّ الكلام عموما إذا جرى على الوتيرة الصوتية نفسها، فممّا لاشكّ في ذلك أنّه يدعو إلى إثارة الملل في النّفس البشرية، لذا كان من شأن تماثل الفواصل حينا وتقاربها حينا آخر، وحضورها في القرآن الكريم على أنواع متباينة أن يثير هذا انطباعا حسنا، وجاذبية لا مثيل لها في النّفس، حيث تخلق نوعا من الراحة والسكينة أثناء سماعها، الأمر الذي يلفت الانتباه أكثر، ويشوّق السامع لتدبّر مفاهيم القرآن، ما دام أنّ هناك تنوّعا موسيقيا عذبا.

رابعا– أنواع الفواصل القرآنية:

تتعدّد أنواع الفواصل في القرآن الكريم بتعدّد زوايا النظر إليها، لذا يمكن أن نميّز لها بين الأضرب التالية حسب اختلاف المعيار المعتمد في تحديدها وهي:

1– الفاصلة حسب حجم الآية: نفرّق تبعا لحجم الآية القرآنية بين ثلاثة أنواع من الفاصلة القرآنية هي:

أ– الفاصلة القصيرة: مثل قوله تعالى: ﴿**فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44)**﴾ [سورة الواقعة، الآيات: 42، 44]، وقوله أيضا: ﴿**كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (15) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (16)**﴾ [سورة المعارج، الآيتين: 15– 16].

ب– الفاصلة المتوسّطة: نحو قوله عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿**إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (7) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8)**﴾ [سورة المزمّل، الآيتين: 7– 8]، وقوله أيضا في موضع آخر: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2)**﴾ [سورة المسد، الآيتين: 1– 2].

ج– الفاصلة الطويلة: مثل قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2)**﴾ [سورة سبأ، الآيتين: 1– 2].

2– الفاصلة حسب الحرف الأخير من الكلمة: يمكن أن نميّز للفاصلة القرآنية بالنظر إلى الحرف الأخير من الآية بين الأضرب التالية:

أ– الفواصل المتماثلة: وتسمّى كذلك «الفواصل المتجانسة أو ذات المناسبة التامة، فهي التي تماثلت حروف رويّها».[15]، نحو قوله جلّ وعلا: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11)**﴾ [سورة النبأ، الآيتين: 10– 11]، وقوله: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (33) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (34)**﴾ [سورة المدثّر، الآيتين: 33– 34].

هذا، «وقد تتّفق الفاصلتان لا في الحرف الأخير فحسب، ولكن في حرف قبله أو أكثر من غير أن يكون في ذلك كلفة ولا قلق، بل سلاسة ولين وجمال».[16]

مثال **التزام حرفٍ** قوله تعالى: ﴿**وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4)**﴾ [سورة الطور، الآيات: 2- 4]، وقوله: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)**﴾ [سورة الشرح، الآيات: 1- 4] وغيرها، ومثال **التزام حرفين** قبل الحرف الأخير قوله جلّ في علاه: ﴿**يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16)**﴾ [سورة البلد، الآيتين: 15- 16]، وقوله في موضع آخر: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (2) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3)**﴾ [سورة التغابن، الآيتين: 2- 3]، ونحو قوله: ﴿**فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14)**﴾ [سورة الغاشية، الآيتين: 13- 14]، وأيضا: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21)**﴾ [سورة المعارج، الآيات: 19، 21]، ومثال **التزام ثلاثة أحرف** قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (197) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198)**﴾ [سورة الأعراف، الآيتين: 197- 198].

ب- الفواصل المتقاربة: وتسمّى «ذات المناسبة غير التّامة، فهي التي تقاربتْ حروف رويّها».[17]، مثل:

- تقارب الميم من النون مخرجا واشتراكهما في بعض الصفات: نحو قوله: ﴿**إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34)**﴾ [سورة الحاقّة، الآيتين: 33- 34]، وأيضا قوله: ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (24) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (25)**﴾ [سورة التكوير، الآيتين: 24- 25] وغيرها من النماذج.

- تقارب الدال من الباء مخرجا واشتراكهما في بعض الصفات: مثاله قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (51) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (52)**﴾ [سورة الأنفال، الآيتين: 51- 52]، وقوله: ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (25)**﴾ [سورة ق، الآيتين: 24- 25] وغيرها.

– **اتّحاد الدال مع الطاء مخرجا وتقاربهما أو اشتراكهما في بعض الصفات:** نحو قول المولى عزّ وجلّ: ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43)**﴾ [سورة الحجّ، الآيتين: 42- 43]، وقوله: ﴿**وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (20) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21)**﴾ [سورة البروج، الآيتين: 20- 21] وغيرها من الأمثلة.

– **اتّحاد الراء مع اللام مخرجا وتقاربهما أو اشتراكهما في بعض الصفات:** مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (41)**﴾ [سورة هود، الآيتين: 40- 41]، وقوله: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (31) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32)**﴾ [سورة الفرقان، الآيتين: 31- 32] وهلمّ جرّا.

هذان النوعان غالبان على الفواصل، لا يكاد أحدهما يزيد عددا على الآخر، لكن الملاحظ أنّ الفواصل المتماثلة تشيع في الآيات والسور المكيّة، على حين تغلب المتقاربة على الآيات المدنية.[18]

وقد استقلّت الفواصل المتماثلة بإحدى عشر من سور المفصّل (السور القصار) ومعظمها مكّي هي: «سور {القمر والقدر والعصر والكوثر} التي تماثلت فواصلها في حرف الراء، سورتا {الأعلى والليل} اللتان تماثلت فواصلهما في حرف الألف المقصورة، سورة الشمس على فواصل الألف الممدودة بعدها (ها)، سورة الإخلاص على الدال، سورة النّاس على السين، سورة المنافقون على النون، وسورة الفيل على اللام».[19]

ج– **الفواصل المنفردة:** وهو «نوع نادر، وهذا الضرب من الفواصل لم تتماثل حروف رويّها ولم تتقارب، كالفاصلة التي خُتمت بها سورة الضحى (سورة مكيّة): ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)**﴾ [سورة الضحى، الآيات: 9-11]».[20]، ومن هذا النوع في القرآن الكريم على قلّته، قوله تعالى في أواخر سور العلق: ﴿**كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (19)**﴾ [سورة العلق، الآيات: 15، 19]. ففواصل الآيات الأربعة الأولى كلّها تنتهي بالحرف ذاته وهو التاء المربوطة وصلا، هاء السكت وقفا كما هو الحال مع الآية السابعة عشر، إلاّ الآية

الأخيرة فقد انفردت بحرف مغاير تماما وهو حرف "الباء"، لتمثّل فاصلة هذه الآية: الفاصلة المنفردة في سورة العلق.

3- الفاصلة باعتبار الإيقاع الصوتي: الفاصلة أقسام من حيث توافر الإيقاع أو عدمه، ومن حيث اجتماع الإيقاع مع عنصر آخر أو انفراده، وعلى هذا الأساس نميّز بين الأنواع الآتية:

أ- المُطرّف أو المعطوف: هو ما اتّفق في حروف الرويّ لا في الوزن.[21]

نحو قوله تعالى: ﴿**أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60)**﴾ [سورة النجم، الآيتين: 59- 60].

نلحظ أنّ كلتا الفاصلتين تشتركان في آخر حرف وهو النون، غير أنّهما تختلفان في التقطيع الصوتي (الإيقاع) وصلا أو وقفا كالآتي:

تَعْجَبُونْ= ص ح ص+ ص ح+ ص ح ح ص	تَبْكُونْ= ص ح ص+ ص ح ح ص

فلفظ "تَعْجَبُونْ" يشتمل على مقطع متوسط مغلق يليه مقطع قصير مفتوح، بعدهما مقطع طويل مغلق ناتج عن الوقف بالسكون على آخر حرف في الفاصلة القرآنية، وهو حرف النون. أمّا لفظ "تَبْكُونْ" فيشتمل على مقطعين فقط وهي: مقطع متوسّط مغلق، يليه مقطع طويل مغلق ناتج عن الوقف بالسكون على آخر حرف في الفاصلة القرآنية، وهو حرف النون.

وقوله أيضا: ﴿**قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (21) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (22)**﴾ [سورة الجنّ، الآيتين: 21- 22].

نلحظ أنّ كلتا الفاصلتين تشتركان في آخر حرف أيضا وهو الدال، غير أنّهما تختلفان في التقطيع الصوتي (الإيقاع) وصلا أو وقفا كالآتي:

رَشَدَنْ= ص ح+ ص ح+ ص ح ص	مُلْتَحَدَنْ= ص ح ص+ ص ح+ ص ح +ص ح ص

فلفظ "رَشَدَنْ" يشتمل على ثلاثة مقاطع هي على التوالي: مقطعين قصيرين مفتوحين ثمّ مقطع متوسّط مغلق ناتج تنوين حرف الدال. أمّا لفظ "مُلْتَحَدَنْ" فيشتمل على أربعة مقاطع هي: مقطع متوسّط مغلق، يليه مقطعين قصيرين مفتوحين، بعدها مقطع متوسط مغلق ناتج عن التنوين أيضا.

ب– المتوازي: وهو رعاية الكلمتين الأخيرتين في الوزن والرويّ، واشترط بعض العلماء ألاّ يقابل ما في الفقرة الأولى لما في الثانية في الوزن والتقفية.[22]

نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (1) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (2)**﴾ [سورة المعارج، الآيتين: 1– 2]، تشترك فاصلتا الآيتين المذكورتين في آخر حرف وهو: حرف العين، فضلا عن اشتمالهما على المقاطع الصوتية ذاتها عددا وترتيبا كالآتي:

وَاقِعِنْ= ص ح ح+ ص ح+ ص ح ص	دَافِعُنْ= ص ح ح+ ص ح+ ص ح+ ص ح ص

كلتا الفاصلتين اشتملتا على ثلاثة مقاطع هي على الترتيب: مقطع متوسّط مفتوح+ مقطع قصير مفتوح+ مقطع متوسّط مغلق ناتج عن تنوين حرف العين.

ما يقال على النموذج السابق ينطبق على قوله تعالى أيضا: ﴿**مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (13)**﴾ [سورة القلم، الآيتين: 12– 13].

حيث تشترك فاصلتا هاتين الآيتين أيضا في آخر حرف وهو: حرف الميم، فضلا عن اشتمالهما على المقاطع الصوتية ذاتها عددا وترتيبا كالآتي:

أَثِيمِنْ= ص ح+ ص ح ح+ ص ح ص	زَنِيمِنْ= ص ح+ ص ح ح+ ص ح ص

كلتا الفاصلتين اشتملتا على ثلاثة مقاطع هي على الترتيب: مقطع قصير مفتوح+ مقطع متوسّط مفتوح+ مقطع متوسّط مغلق ناتج عن تنوين حرف الميم.

ج– المتوازن: وهو ما راعى في مقاطع الكلام والوزن وحسب.[23]

كقوله تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (10) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (11)**﴾ [سورة الحديد، الآيتين: 10– 11]، فآخر حرف في فاصلة الآية العاشرة "خَبِيرٌ"، غير الحرف الذي تُختتم به فاصلة الآية التي تليها "كَرِيمٌ"، لأنّ العبرة هاهنا ليس في آخر حرف بل في

الوزن والإيقاع، حيث تشترك الفاصلتان في عدد المقاطع وبالترتيب ذاته، وتختلف في الحرف الأخير كما يوضّحه التقطيع الصوتي التالي:

خَبِيرٌ= ص ح+ ص ح ح+ ص ح ص	كَرِيمٌ= ص ح+ ص ح ح+ ص ح ص

فكلتا الفاصلتين تقطّعان صوتيا إلى المقاطع عينها عددا وترتيبا هي: مقطع قصير مفتوح+ مقطع متوسّط مفتوح+ مقطع متوسّط مغلق، ناتج عن تنوين آخر حرف وهو الراء في الفاصلة الأولى، والميم في الفاصلة الثانية.

ومثال المتوازن أيضا قوله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (96)**﴾ [سورة الواقعة، الآيتين: 95- 96].

فآخر حرف في فاصلة الآية 95 "اليَقِينِ"، غير الحرف الذي تُختتم به فاصلة الآية 96 "العَظِيمِ"، لأنّ العبرة هاهنا ليس في آخر حرف كما ذكرنا آنفا، بل في الوزن والإيقاع، حيث تشترك الفاصلتان في عدد المقاطع وبالترتيب نفسه، ولتوضيح ذلك أكثر نقوم فيما يلي بتقطيع الفاصلتين صوتيا، ونظرا لاستهلالهما بأداة التعريف الذي تُنطق صوتيا بحرف ساكن وهذا لا يصحّ، لأنّ المقطع الصوتي لا يبدأ بصوت صامت ساكن لوحده، وجب علينا حينئذ تقطيع الفاصلة القرآنية مدمجة مع الكلمة التي تسبقها بما يتوافق وشروط المقطع الصوتي كما يلي:

حَقُّلْيَقِينْ- ص ح ص+ص ح ص+ ص ح+ ص ح ص
رَبِّكَلْعَظِيمْ- ص ح ص+ ص ح+ص ح ص+ ص ح+ ص ح ص

فكلتا الفاصلتين تقطّعان صوتيا إلى المقاطع عينها عددا وترتيبا رغم اختلاف آخر حرف فيهما، وهذه المقاطع هي: مقطع متوسط مغلق+ مقطع قصير مفتوح+ مقطع طويل مغلق، ناتج عن الوقف بالسكون على آخر حرف في الفاصلة، وهو حرف النون في الفاصلة الأولى، وحرف الميم في الفاصلة الثانية.

د- المُرَصّع: وهو أن يكون المتقدّم من الفقرتين مؤلفا من كلمات مختلفة، والثاني مؤلفا من مثلها في ثلاثة أشياء وهي: الوزن والتقفية وتقابل القرائن، قيل ولم يجيء هذا القسم في القرآن العظيم لما فيه من التكلّف، وزعم بعضهم أنّ منه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**

(14)﴾ [سورة الانفطار، الآيتين: 13-14]، وليس كذلك لورود لفظة (إنّ) و(لفي) في كلّ من التركيبين، وهو مخالف لشرط الترصيع، لأنّ شرطه اختلاف الكلمات في التركيبين جميعا، واحتجّ آخرون بشاهد أوفى شروطا فوطّدوا القاعدة، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)**﴾ [سورة الغاشية، الآيتين: 25- 26].[24]

هـ- المتماثل: وهو أن تتساوى الفقرتان في الوزن دون التقفية، وتكون أفراد الأولى مقابلة لما في الثانية، فهو بالنسبة إلى المرصع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازي.[25]

قال تعالى: ﴿**وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (3) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (4)**﴾ [سورة المرسلات، الآيتين: 3- 4]، فلفظ "النّاشرات" في الآية 3 يقابل لفظ "الفارقات" في الآية 4، كما أنّ كلمة "نشرا" في الآية 3 تقابل كلمة "فرقا" في الآية 4، فالفقرتان متساويتان وزنا وفي عدد المقاطع، وإن كان الحرف الأخير في الفاصلتن فيهما مختلفان، فلا تأثير له على وزن الآيتين، وهذا ما يثبته التقطيع الآتي:

- وَنْنَاشِرَاتِ نَشْرَنْ= ص ح ص+ ص ح ح+ ص ح ح+ ص ح ح+ ص ح ص+ ص ح ص.
- فَلْفَارِقَاتِ فَرْقَنْ= ص ح ص+ ص ح ح+ ص ح ح+ ص ح ح+ ص ح ص+ ص ح ص.

وقال أيضا في موضع آخر: ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3)**﴾ [سورة النازعات، الآيات: 1، 3]، فلفظ "النّازعات" في الآية الأولى يقابل لفظ "النّاشطات" في الآية الثانية وكلاهما يقابلان لفظ "السّابحات" في الآية الثالثة،، كما أنّ كلمة "غرقا" في الآية الأولى تقابل هي الأخرى كلمتي: "نشطا" و"سبحا" على الترتيب في الآيتين الثانية والثالثة، فالفقرات متساوية وزنا وفي عدد المقاطع، وإن كان الحرف الأخير من كلّ فاصلة يختلف من آية إلى أخرى، فلا تأثير له على وزن الآيات، وهذا ما يثبته التقطيع الآتي:

- وَنْنَازِعَاتِ غَرْقَنْ= ص ح ص+ ص ح ح+ ص ح ح+ ص ح ح+ ص ح ص+ ص ح ص.
- وَنْنَاشِطَاتِ نَشْطَنْ= ص ح ص+ ص ح ح+ ص ح ح+ ص ح ح+ ص ح ص+ ص ح ص.
- وَسْسَابِحَاتِ سَبْحَنْ= ص ح ص+ ص ح ح+ ص ح ح+ ص ح ح+ ص ح ص+ ص ح ص.

ما يقال عن الآيات السابقة ينطبق تماما على مثل قوله تعالى في مطلع سورة الذاريات: ﴿**وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (2) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (3) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (4)**﴾ [سورة

الذاريات، الآيات: 1، 4]، وكذا مطلع سورة الصّافات: ﴿**وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (1) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (2) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (3)**﴾ [سورة الصّافّات، الآيات: 1، 3]، وغيرها.

4- الفاصلة بحسب طول القرينة:

المراد بطول القرينة - هنا - مقدار طولها بالنسبة إلى القرينة الثانية والثالثة، وعلى هذا الأساس تنقسم الفواصل بحسب مقادير قرائنها إلى أقسام كالآتي:[26]

أ- أن تكون القرائن متساوية في عدد الكلمات لا يزيد بعضها على بعض، ولا تضرّ الزيادة في عدد الحروف، لأنّ التساوي فيها غير مشروط، فلا حاجة مثلا إلى جعل المشدّد كاللام في "ظَلَّ" بحرفين. وقد جاء هذا كثيرا في القرآن الكريم كقوله عزّ وجلّ ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)**﴾ [سورة الشمس، الآيتين: 9- 10]، وقوله: ﴿**فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13)**﴾ [سورة الغاشية، الآيتين: 12- 13]، وفي قوله أيضا: ﴿**ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23)**﴾ [سورة المدثّر، الآيتين: 22- 23].

ب- أن تختلف القرائن طولا أو قصرا، وهو أكثر من نوع:

- أن تكون الثانية أطول من الأولى، نحو قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (57) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58)**﴾ [سورة الحجر، الآيتين: 57- 58]، فالأولى خمس كلمات والثانية ستّ كلمات، وفي قوله: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)**﴾ [سورة التكاثر، الآيتين: 1- 2]، ففي الأولى كلمتين، أمّا في الثانية فثلاث كلمات، وقوله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)**﴾ [سورة العصر، الآيتين: 1- 2]، فالآية الأولى تحوي كلمة واحدة فقط، في حين تحوي الآية الثانية أربع كلمات.
- أن تكون الثانية أقصر من الأولى، مثال ذلك قوله عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (29)**﴾ [سورة إبراهيم، الآيتين: 28- 29]، فالآية الثانية تضمّ أربع كلمات، في حين تضمّ الآية السابقة لها اثنتا عشر كلمة، وقوله أيضا في سورة أخرى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2)**﴾ [سورة الإخلاص، الآيتين: 1- 2]، فالآية الثانية احتوت على كلمتين، في المقابل تضاعف العدد في الآية الأولى؛ أي أربع كلمات.

- أن تكون الأولى أقصر والثانية والثالثة متساويتان. مثل قوله تعالى: ﴿**وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3)**﴾ [سورة الفجر، الآيات: 1، 3]، فالأولى من كلمة واحدة، والثانية والثالثة من كلمتين، وقوله أيضا: ﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4)**﴾ [سورة الفلق، الآيات: 2، 4]، فالأولى من أربع كلمات، في حين تتساوى الثانية مع الثالثة بخمس كلمات.
- أن تكون الأولى والثانية متساويتين، والثالثة زائدة عليهما، ومن أمثلة هذه الحالة في القرآن الكريم قوله جلّ في علاه: ﴿**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (108) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109)**﴾ [سورة الأعراف، الآيات: 107، 109]، فالأولى والثانية متساويتين تضمّان ستّ كلمات، ولا عبرة في ذلك ما جاء فيهما من حروف زائدة للعطف والربط، أمّا الثالثة فقد حوت تسع كلمات، وفي قوله أيضا: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3)**﴾ [سورة الليل، الآيات: 1، 3]، فقد تساوت الآية الأولى مع التي تليها مباشرة في عدد الألفاظ الذي بلغ ثلاث كلمات، في حين زاد العدد في الآية الثالثة، حيث بلغ أربع كلمات، ولا تعنينا هنا زيادة تلك الحروف التي تستعمل للربط بين ألفاظ الآيات وعبارتها، لعدم أخذها بعين الاعتبار أثناء احتساب عدد الكلمات.

5- الفواصل بحسب مقدارها من الآية: من الفواصل ما هو آية كاملة، وما هو بعض آية، وهذا النوع الثاني هو النوع الغالب المطّرد:[27]

أ- الفواصل التي تستغرق آية ترد في فواتح السور، وهي على شكلين:

الشكل الأوّل: المؤلّف من مجموعة حروف مثلما هو الحال مع الحروف المقطّعة التي تستهلّ بها بعض سور القرآن الكريم نحو: {**ألم**: سورة البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة،...، **ألمص** في سورة الأعراف، **كهيعص** كما هو الحال مع سورة مريم، **طه، طسم** في سورتي الشعراء والقصص، **يس، حم** في سور الحواميم السبع وهي: غافر، فصّلت، الشورى، الزخرف، الدّخان، الجاثية، الأحقاف}...

الشكل الثاني: المؤلّف من كلمة مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿**الرَّحْمَنُ (1)**﴾ [سورة الرحمن، الآية: 1]، ﴿**الْحَاقَّةُ (1)**﴾ [سورة الحاقّة، الآية: 1]، ﴿**الْقَارِعَةُ (1)**﴾ [سورة القارعة، الآية: 1]، ولا يدخل ضمن هذا الشكل قوله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ (1)**﴾ [سورة العصر، الآية: 1]، ﴿**وَالضُّحَى (1)**﴾ [سورة الضحى،

الآية: 1]، ﴿**وَالْفَجْرِ (1)**﴾ [سورة الفجر، الآية: 1]، وغيرها من المواضع المشابهة، لاتّصال اللفظ فيها بحرف الواو الاستئنافية.

ب– أمّا الفواصل التي هي بعض آية، فعلى وجهين:

أحدهما: ما كان جزءا من الآية، لا تقوم الآيات إلاّ به، ولا تستقلّ هي بمفهوم في غير آياتها، وذلك كثير في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3)**﴾ [سورة النجم، الآيات: 1، 3]، وقوله أيضا: ﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3)**﴾ [سورة الطارق، الآيات: 1، 3]، وأكثر قصار السور جاءت فواصلها على هذا النحو من الاتّصال.

ثانيهما: ما جاء وكأنّه تعقيب على الآية، أو تلخيص لمضمونها، أو توكيد لمعناها، وقد تصرّف القرآن في هذا تصرّفا عجيبا، فجاء بالفواصل بعد الآيات كأنّها رجع الصدى، أو إجابة الداعي إذا دعا، نحو قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25)**﴾ [سورة الأحزاب، الآية: 25].

6– الفواصل بحسب ما قبلها: تنحصر العلاقة بين الفاصلة القرآنية وقرينتها في أربعة أوجه هي: التمكين، التصدير، التوشيح والإيغال. والفرق بينها يكمن في أنّه «إن كان تقدّم لفظها بعينه في أوّل الآية سمّي تصديرا، وإن كان في أثناء الصّدر سمّي توشيحا، وإن أفادت معنى زائدا بعد تمام معنى الكلام سمّي إيغالا؛ وربّما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كلّ منهما صدره يدلّ على عجزه، والفرق بينهما أنّ دلالة التصدير لفظية، ودلالة التوشيح معنوية».[28]

أ– التمكين: وهو أن «يُمهّد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها، مستقرّة في قرارها، مطمئنّة في موضعها، غير نافذة ولا قلقة، متعلّقا معناها بمعنى الكلام كلّه تعلّقا تامّا، بحيث لو طُرِحَت اختلّ المعنى واضطرب الفهم».[29]

ومن أمثلته في القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87)**﴾ [سورة هود، الآية: 87]، فإنّه لمّا تقدّم في الآية ذكر العبادة، وتلاه ذكر التصرّف في الأموال، اقتضى ذلك ذكر الحِلم والرُّشد على الترتيب، لأنّ الحِلم يناسب العبادات، والرُّشد يناسب الأموال.[30]

ب– التصدير: هو «أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدّمت في أوّل الآية، وتسمّى أيضا: ردّ العجُز على الصدر».[31]

وقال ابن معتزّ أنّ التصدير على ثلاثة أقسام:[32]

الأوّل: أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر، نحو قوله تعالى: ﴿**لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166)**﴾ [سورة النساء، الآية: 166].

الثاني: أن يوافق أوّل كلمة منه، نحو: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8)**﴾ [سورة آل عمران، الآية: 8].

الثالث: أن يوافق بعض كلماته، نحو قوله: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (10)**﴾ [سورة الأنعام، الآية: 10]، وقوله: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21)**﴾ [سورة الإسراء، الآية: 21].

ج– التوشيح: ويسمّى به لكون الكلام نفسه يدلّ على آخره... ولهذا قيل فيه: إنّ الفاصلة تُعلم قبل ذكرها.[33]

والفرق بينه وبين التصدير كما أسلفنا: أنّ هذا دلالته معنوية، وذاك لفظية، كقوله تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37)**﴾ [سورة يس، الآية: 37]، قال "ابن أبي الإصبع": فإنّ من كان حافظا لهذه السورة، متفطّنا إلى أنّ مقاطع فواصلها النون المردفة، وسمع في صدر الآية انسلاخ النهار من الليل علم أنّ الفاصلة (مظلمون)؛ لأنّ من انسلخ النهار عن ليله أظلم؛ أي: دخل في الظلمة، ولذلك سُمّي توشيحا؛ لأنّ الكلام لمّا دلّ أوّله على آخره، نزّل المعنى منزلة الوشاح، ونُزّل أوّل الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يُحَوَّطُ عليهما الوشاح.[34]

د– الإيغال: وسمّي كذلك لأنّ «المتكلّم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه؛ وبلغ إلى زيادة على الحدّ؛ يقال: أوغل في الأرض الفلانية، إذا بلغ منتهاها؛ فهكذا المتكلّم إذا تمّ معناه ثمّ تعدّاه بزيادة فيه فقد أوغل».[35]

ومن الإيغال في القرآن قوله تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)**﴾ [سورة المائدة، الآية: 50]، فإنّ الكلام تمّ بقوله (ومن أحسن من الله حكما)، ثمّ احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى؛ فلمّا أتى بها أفاد معنى زائدا.

خاتمة:

خلاصة لما قيل، فإنّنا نفنّد الآراء التي تسمح أو تشجّع بتسمية فاصلة القرآن بالقافية أو السجعة، أوّلا لأنّ الله سبحانه وتعالى لمّا نفى اسم الشعر عن القرآن الكريم، فإنّه بذلك أوجب في المقابل استبعاد كلّ ما تعلّق بهذا الأخير من عناصرٍ ومكوّناتٍ كالقافية مثلا، وثانيا أنّ كلام القرآن مترفّع عن كلّ كلام آخر صادر عن البشر، فلا يمكن لأحد من خلق الله أن يأتي بمثل القرآن ولو آية واحدة، فهو كلام لا يشبه الشعر ولا النثر، مصداقا لقوله عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (42)**﴾ [سورة الحاقّة، الآيتين: 41- 42].

تتوزّع فواصل القرآن على أضرب شتّى، تبعا لاختلاف زاوية النظر إليها، والمعايير المعتمدة في تحديدها، لذا صار ممكنا أن نلخّص أبرز هذه الأنواع في النقاط التالية:

- الفواصل حسب حجم الآية؛ يمكن أن نميّز بين: الفاصلة القصيرة، المتوسّطة، والطويلة.
- الفواصل حسب الحرف الأخير من الكلمة؛ نفرّق بين الفواصل التالية: المتماثلة، المتقاربة، والمنفردة.
- الفواصل باعتبار الإيقاع؛ وعلى أساسه نجد: المطرّف، المتوازي، المتوازن، المرصّع، وكذا المتماثل.
- الفواصل بحسب طول القرينة؛ تختلف الفواصل وفق هذا الاعتبار في حالة ما إذا كانت القرائن متساوية كلّها في عدد الكلمات التي تحتويها الآية الواحدة، أو في حالة التفاوت في العدد؛ إمّا طولا أو قصرا، كأن تكون الأولى أطول من الثانية والعكس بالعكس، أو تكون الأولى أقصر والثانية والثالثة متساويتين، أو تكون الأولى والثانية متساويتين والثالثة أطول منهما.
- الفواصل بحسب مقدارها في الآية؛ ونميّز للفاصلة القرآنية بحسب هذا المعيار بين الفواصل التي تستغرق آية كاملة مثل تلك السور التي تبدأ بالحروف المقطّعة التي تأخذ شكل آية، أو السور التي تُستهلّ بكلمة واحدة فقط، في المقابل يوجد نوعا آخر يتمثّل في الفواصل التي هي تشكّل جزءا لا يتجزّأ من الآية لاعتبارات مختلفة.
- الفواصل بحسب ما قبلها؛ ويوجد منها: التمكين، التصدير، التوشيح، والإيغال.

هوامش:

1. أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري الأنصاري: لسان العرب، مج11، (1863م)، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، لبنان)، دط، مادّة "فَصَلَ".

2. الرماني، الخطّابي، عبد القاهر الجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمّد خلف الله أحمد، ومحمّد زغلول سلام، (1119م)، دار المعارف (القاهرة، مصر)، ط3، ص97.
3. بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، تح: أبو الفضل إبراهيم، (1957م)، مكتبة دار التراث (القاهرة، مصر)، ط1، ص53.
4. منّاع القطّان: مباحث في علوم القرآن، (1995م)، مكتبة وهيبة (القاهرة، مصر)، ط7، دط، ص153.
5. جلال الدّين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، (1429هـ/2008م)، مؤسّسة الرسالة ناشرون (بيروت، لبنان)، ط1، ص610.
6. أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، تح: سيّد أحمد صقر، (1971م)، دار المعارف للنشر والتوزيع (القاهرة، مصر)، ط3، ص86.
7. المرجع نفسه، ص 90.
8. ضياء الدّين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، (دس)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر (القاهرة، مصر)، دط، ص271.
9. الباقلاني: إعجاز القرآن (**مرجع سابق**)، ص90.
10. أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي: سرّ الفصاحة، تح: علي قودة، (1350هـ/ 1932م)، مكتبة الخانجي (مصر)، ط1، ص172.
11. الرماني، الخطّابي، عبد القاهر الجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (**مرجع سابق**) ص97.
12. الباقلاني: إعجاز القرآن، (**مرجع سابق**)، ص ص57- 58.
13. أحمد البايبي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية- دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ج2، (2012م)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع (إربد، الأردن)، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع (الأردن)، ط1، ص ص130، 132.
14. مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (1393هـ/ 1973م)، دار الكتاب العربي (بيروت، لبنان)، ط9، ص216.
15. محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، (1421هـ/ 2000م)، دار عمار للنشر والتوزيع (عمان، الأردن)، ط2، ص145.
16. أحمد أحمد بدوي: من بلاغة القرآن، (2005م)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة، مصر)، دط، ص 74.
17. محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن، (**مرجع سابق**)، ص ص 146- 147.
18. المرجع نفسه، ص 147.

19. المرجع نفسه، ص ن.
20. المرجع نفسه، ص 148.
21. المرجع نفسه، ص 149.
22. المرجع نفسه، ص ن.
23. المرجع نفسه، ص ن.
24. المرجع نفسه، ص150.
25. المرجع نفسه، ص ن.
26. ينظر: المرجع نفسه، ص 154- 155.
27. ينظر: المرجع نفسه، ص 155- 156.
28. الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، (**مرجع سابق**)، ص ص78- 79.
29. المرجع نفسه، ص 79.
30. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، (**مرجع سابق**)، ص616.
31. المرجع نفسه، ص621.
32. ينظر: المرجع نفسه، ص621.
33. ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، (**مرجع سابق**)، ص 95.
34. ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، (**مرجع سابق**)، ص621.
35. الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، (**مرجع سابق**)، ص 96.